من قازان . وخان تتر القرم على رأس الإنكشارية وعدد كبير من المدفعية وبضعة مئات من الجمال كان يقوم على الأقل باستعراض للقوة كبير . فلو أنه تقدم إلى الشمال الشرقي بدلاً من الشمال وهاجم الجيش المفكك في سفيازهسك لكان بإمكان الخان أن يفشل مشروع القيصر الكبير . أو لو أنه كان يعرف موقع إيڤان على نهر الأوكا لكان بإمكانه أن يتجنب الهزيمة . ولكن الحرس المتقدم من الجيش الروسي وقع على القبيلة مداهمة وأوقع بها هزيمة كاملة على الرغم من أنه كان أقل عدداً بكثير جداً من القوات التترية لدرجة أن الخان وجب عليه أن يترك كل جماله وكمية كبيرة من أسلحته مع عدد كبير من القتلى والجرحى . أما سكان تولا المدنيون الذين كانوا محصنين أحسن تحصين فقد ارتقوا أعالي استحكاماتهم وهم يصيحون : « إنه القيصر ، إنه القيصر أتى لإنقاذنا » .

فهل في هذا المكان حكم على جمل بالموت لأنه لم يشأ أن يركع أمام إيڤان ؟ . ولكن إيڤان لم يكن إلا في العشرين من العمر ولم يكن قد رأى في حياته مثل هذه الكمية المجتمعة من الجمال . وكانت الغنيمة التي تركها التتر ضخمة للغاية حتى لقد أبدى القيصر رغبة طفولية في إحصائها وإرسالها الى موسكو لكي تراها أنا ستاسيا وهناك عرضت أمام الجمهور الذي كان يبصق على أسرى التتر المكبلين بالإغلال ويقف مذهولاً أمام الجمال .

حدثت هذه المعركة في أواخر حزيران يونيه . وفي الثالث من تموز يوليه صدرت الأوامر إلى كل الجيش بالسير الى قازان . وكانوا يحتفظون في كولومنا بصورة السيدة العذراء التي كان ديمتري دونسكوي قد جلبها الى المعركة عندما الحق بالسلطان مامي هزيمته الكبرى ، وقد رجا إيڤان هذه الصورة أن تمنحه نصراً شبيهاً بذلك على التتر ، فلم يكن لا هو ولا جيشه يوفرون فرصة ليطلبوا شفاعة القديسين من أجل النصر . واعتبرت كل التباشير الحسنة مثل خبر توقف وباء الأسقربوط عن الانتشار في سفيازهسك وعودة روح النظام الى الجيش اعتبرت كل هذه التباشير رداً على ما كانوا يقدمونه للقديسين من ادعية